

تفسير البحر المحيط

@ 301 @ وَسُعِّعَهَا أُوْوَ لَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ { لما أخبر بوعيد الكفار أخبر بوعد المؤمنين وخبر و { الَّذِينَ } الجملة من { لَا يُكَلِّفُ نَفْسًا } منهم أو الجملة من { أُوْوَ لَئِكَ } وما بعده وتكون جملة { لَا يُكَلِّفُ } اعتراضاً بين المبتدأ والخبر ، وفائدته أنه لما ذكر قوله و { عَمَلُوا } * الصَّالِحَاتِ { نبه على أن ذلك العمل وسعهم وغير خارج عن قدرتهم وفيه تنبيه للكفار على أن الجنة مع عظم مجالها يوصل إليها بالعمل السهل من غير مشقة ، وقال القاضي أبو بكر بن الطيب : لم يكلف أحداً في نفقات الزوجات إلا ما وجد وتمكن منه دون ما لا تناله يده ولم يرد إثبات الاستطاعة قبل الفعل ، ونظيره { لَا يُكَلِّفُ اللّٰهُ نَفْسًا إِلَّا مَّا عَاطَاهَا } انتهى ، وليس السياق يقتضي ما ذكر ، وقال الزمخشري : جملة معترضة بين المبتدأ والخبر للترغيب في اكتساب ما لا يكتنحه وصف الواصف من النعيم الخالد مع العظيم بما هو من الواسع وهو الإمكان الواسع غير الضيق من الإيمان والعمل الصالح انتهى ، وفيه دسيسة الاعتزال ، وقرأ الأعمش لا تكلف نفس . { وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ } أي أذهبنا في الجنة ما انطوت عليه صدورهم من الحقود . وقيل نزع الغل في الجنة أن لا يحسد بعضهم بعضاً في تفاضل منازلهم ، وقال الحسن : غلّ الجاهلية ، وقال سهل بن عبد الله الأهواء والبدع ، وروي عن عليّ كرم الله وجهه فينا وأهل بدر نزلت وعنه إنني لأرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير من الذين قيل فيهم ونزعنا الآية ، والذي يظهر أن النزع للغلّ كناية عن خلقهم في الآخرة سالمين القلوب طاهريها متوادين متعاطفين ، كما قال إخواننا على سرر متقابلين وتجري حال قاله الحوفي قال : والعمل فيه نزعنا ، وقال أبو البقاء : حال والعامل فيها معنى الإضافة وكلا القولين لا يصح لأن تجري ليس من صفات الفاعل الذي هو ضمير نزعنا ولا صفات المفعول الذي هو ما في صدورهم ولأن معنى الإضافة لا يعمل إلا إذا كانت إضافة يمكن للمضاف أن يعمل إذا جرّد من الإضافة رفعاً أو نصباً فيما بعده والظاهر أنه خبر مستأنف عن صفة حالهم . . { وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا } أي وفقنا لتحصيل هذا النعيم الذي صرنا إليه بالإيمان والعمل الصالح إذ هو نعمة عظيمة يجب عليهم بها حمده والثناء عليه تعالى ، وقيل : الهداية هنا هو الإرشاد إلى طريق الجنة ومنازلهم فيها وفي الحديث (أن أحدهم أهدى إلى منزله في الجنة من منزله في الدنيا) ، وقيل : الإشارة بهذا إلى العمل الصالح الذي هذا جزاؤه ، وقيل إلى الإيمان الذي تأهلوا به لهذا النعيم

المقيم ، وقال الزمخشري : أي وفقنا لموجب هذا الفوز العظيم وهو الإيمان والعمل الصالح انتهى ، وفي لفظه واجب والعمل الصالح دسيعة الاعتزال ، وقال أبو عبد الله الرازي معنى { هَدَانَا } أي أعطانا القدرة وضم إليها الداعية الجازمة ، وصير مجموعهما لحصول تلك الفضيلة وقالت المعتزلة التّحميد إنما وقع على أنه تعالى خلق العقل ووضع الدلائل وأزال الموانع انتهى ، وفي صحيح مسلم (إذا دخل أهل الجنة الجنة نادى منادٍ أنّ لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدًا) ، وأنّ لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدًا وأنّ لكم أن تشبّوا فلا تهرموا أبدًا وأنّ لكم أن تنعموا فلا تياسوا أبدًا فلذلك قالوا : { الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا } . { وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْ لَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ } أي وما كانت توجد منا أنفسنا وجدها الهداية لولا أن هدانا وهذه الجملة توضح أن الله خالق الهداية فيهم وأنهم لو خلوا وأنفسهم لم تكن منهم هداية ، وقال الزمخشري : وما كان يستقيم أن نكون مهتدين